

ربما الانتخابات لن تكون الحل

24/08/2020



كتب: ابراهيم دلالة*

كلما ضاقت الحلقات تخرج أصوات كثيرة داخلية وخارجية تطالب بإجراء انتخابات فلسطينية برلمانية ورئاسية وفي رأي المتواضع تختلط النوايا لا بل تتناقض بين دعاة إجراء الانتخابات داخليا وخارجيا . وما أود قوله بالمختصر ان إجراء الانتخابات واختيار الممثلين وإعادة الحيوية للمؤسسات الفلسطينية مسألة في غاية الأهمية ويجب أن تكون على سلم أولويات القيادة الفلسطينية والقوى والفصائل والحركات السياسية كافة. فتعطيل المؤسسات وإلغاء الانتخابات من جدول أعمال اي مجتمع سيؤدي بالضرورة إلى اخفاقات وارهاسات على كافة المستويات ولا داعي للاطالة هنا فالكل الوطني تقريبا متفق على هذه المبادئ كافة. كما يجب الإشارة إلى أن الانتخابات تحت الاحتلال قد أثبتت فشلها في حماية وصيانة القرار الفلسطيني الديمقراطي ولنا عبرة في حصار الرئيس الفلسطيني الشهيد ابو عمار عندما رفض الخضوع للإملاءات في كامب ديفيد ولنا عبرة في اعتقال النواب المنتخبين وعلى رأسهم الاخ مروان البرغوثي والقائد احمد سعادات. ثم تكررت التجربة الديمقراطية بانتخاب الرئيس ابو مازن الذي يحاصر ويقاطع ويقاطع اليوم لانه رفض الخضوع للإملاءات المحتل والولايات المتحدة في إطار صفقة القرن وما سبقها وما تبعها من قرارات مجحفة. وعليه فإن الدعوات الداخلية لإجراء الانتخابات يجب أن تأخذ بعين الاعتبار أن التحديات السياسية والاحتلالية التي نواجه قد لا تختفي بل قد تتعمق ووصلنا بشكل أسرع للمواجهة

الحتمية مع المحتل الذي لن يقبل بخيارات الشعب الفلسطيني الديمقراطية طالما جاءت هذه بالضرورة بقيادات وطنية تتمسك بالحقوق وترفض التنازلات والتسويات السياسية المطروحة. فلا بد إذن من التفكير بتجديد حيوية وشرعية مؤسساتنا الوطنية ولكن مع الأخذ بعين الاعتبار لهذه الحقائق والتي وان تجاوزناها الآن سنصطدم بها وتداعياتها لاحقا.. فربما كان الحل بالعودة إلى الجذور واستلهاهم تجربة التمثيل الديمقراطي لمنظمة التحرير الفلسطينية في الماضي والتوافق على الأسس والبرامج الوطنية وتفعيل المؤسسات التمثيلية بما فيها المجلس الوطني الفلسطيني بما ينسجم مع متطلبات المرحلة القادمة مع الاستفادة من أخطاء وتجارب الماضي القريب.

ولا بد من الإشارة هنا ان الاعتقاد بأن المأزق السياسي والتحديات الخطيرة التي تمر بها قضيتنا الوطنية حاليا ناجمة عن الانقسام الفلسطيني او عدم اجراء الانتخابات فهو حتما ضرب من الوهم وجلد الذات. فاي دراسة متأنية لطبيعة الاحداث على مدار ال ٢٥ سنة الماضية لا بد وان تقود إلى استخلاص العبر. فالمأزق الذي نمر به الآن ناجم عن عدة عوامل أهمها عدم رضوخ القيادة الفلسطينية المنتخبة للاملاءات السياسية والضعف الاقتصادي المواكبة لها. وهنا يمكن أيضا الإشارة الي تجربة حركة حماس التي فازت بانتخابات العام ٢٠٠٦ فكان الرد بأحكام الحصار على الشعب الفلسطيني ومؤسساته المنتخبة حتى تم إسقاط التجربة اولا بفعل الضغط الخارجي وثانيا بفعل الفتن الداخلية. والحقيقة تشير أيضا ان انتخاب الرئيس ابو مازن في العام ٢٠٠٥ تزامن مع توقعات كبيرة بأحداث اختراق سياسي كبير والمضي نحو الحل السياسي المنشود وكان الإسرائيليون قد روجوا كثيرا بأن القائد الشهيد الرئيس ابو عمار العقبة الكداء في طريق السلام. ومضت السنوات بعد اجراء الانتخابات في العام ٢٠٠٥ و٢٠٠٦ كانت الصدمة الكبرى برفض المجتمع الدولي وعلى رأسه امريكا و إسرائيل اليوم لنتائج هذه الانتخابات وبدات مسيرة حصار نتائج الديمقراطية الفلسطينية سواء على مستوى الرئيس أبو مازن او البرلمانية على مستوى حركة حماس في الماضي. والحقيقة ان اسرائيل و امريكا والكثيرين من اللاعبيين الخارجيين لا يتوقوا إلى اجراء الانتخابات الفلسطينية وإحداث تغيير في القيادة الا سعيًا وراء وهم الاعتقاد بأن هذه الانتخابات ستأتي بمن يوافق على شروط الإذلال السياسي واختزال الحقوق الفلسطينية في إطار صفقة القرن الأمريكية التي رسم معالمها وتفصيلها زعماء التطرف الديني / السياسي في إسرائيل والادارة الأمريكية الحالية.

في الختام ما أود التنبيه له في هذا المقام ومع إدراكي العميق وقناعتي بصدق و حسن نوايا كل مفكر وناشط واكاديمي وسياسي فلسطيني بان لا تتزامن وان لا تتساقط دعوات اجراء الانتخابات مع تلك الدعوات الخارجية التي بدأت تتصاعد بضرورة تجاوز الإعلان الاماراتي بالتطبيع مع اسرائيل والعمل على أحداث تغيير في القيادة الفلسطينية من خلال الانتخابات. كما اود القول والجزم أيضا بأن اجراء الانتخابات الفلسطينية سيأتي بالضرورة بقيادة فلسطينية ستتمسك بالحقوق الوطنية الفلسطينية على الرغم من كل الضغوط والخطط والأموال التي تنفق في الاتجاه الاخر. وبالمحصلة النهائية فإننا كشعب وقيادة نواجه ذات التحديات السياسية والخطط الاحتلالية فلن يجدي نفعا ان نقنع أنفسنا بأن الانتخابات ستغير واقع الحال والمعاناة تحت الاحتلال، فلربما كان الحل بالعودة إلى الجذور وليس بالضرورة ان يكون الطريق بتكرار ما قمنا به من انتخابات ثلاث مرات تحت الاحتلال. والله من وراء القصد.

*مدير مركز افق للدراسات والأبحاث